عرض أطروحة دكتوراه: المنظور النفسي في النقد الروائي العربي الحديث

PhD dissertation review: Psychological Perspective in Modern Arabic Novel Criticism

د. مولاي المصطفى الفدادي: أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي، حاصل على دكتوراه في النقد الأدبي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة القاضي عياض، مراكش، المغرب.

Dr. ELFADADI Moulay Mustapha: Secondary education teacher, PhD in Literary Criticism, Faculty of Letters and Human Sciences – Cadi Ayyad University, Marrakesh, Morocco

Email: elfidadi@yahoo.fr

DOI: https://doi.org/10.56989/benkj.v3i9.607

الملخص:

يتناول هذا العرض أهم الخطوات المنهجية التي اتخذها الباحث آلية لمقاربة المتون النقدية التي استعانت بالمنهج النفسي لتحليل الرواية العربية، كاشفا عن أهم التحولات التي طرأت على تطبيقه في الساحة النقدية العربية منذ البدايات التي استفادت من التحليل النفسي الذي قارب الإبداع من منظور البحث عن عقد الكاتب النفسية، وتأتي في هذا السياق أعمال الناقد جورج طرابيشي التي غطت المرحلة الأولى من استثمار مفاهيم التحليل النفسي، لكن فيما بعد انفتح الدارسون على توظيف المنهج النفسي النصي الذي استفاد من مناهج تحليل الخطاب التي تضيء الإبداع الأدبي من منظور بنيوي من خلال التأكيد على القيم الفنية والجمالية التي يحفل بها النص الأدبي، وتأتي في هذا السياق، دراسات الناقد حسن المدن لتدشن ورشا جديدا في حقل الدراسات الأدبية من خلال استثمار مفاهيم لا شعور النص التي أسسها جان بيلما–نويل، فضلا عن مقاربة المتون النقدية التي كشفت عن النزوع الأسطوري في الرواية العربية من قبيل دراسات الناقد نضال الصالح والناقدة سناء شعلان، وقد ذيل الباحث أطروحته بتركيب عام بين فيه الجدل القائم بين الدارسين حول كفاية هذا المنهج أو ذاك في دراسة النصوص وتحليلها، وخلص إلى الدفاع عن أطروحة انفتاح المنهج لسد النقص الذي يعرفه المنهج الواحد ليس بدعوى التكامل المنهجي وإنما للتجسير بين المناهج لتحقيق الكفاية المنهجية المطلوبة.

الكلمات المفتاحية: المنظور النفسي، النقد الروائي، النقد الروائي العربي الحديث

Abstract:

The present study examines the key methodological steps taken by the researcher as an approach to critical texts that used the psychological method for analyzing Arabic novel. It reveals significant transformations that have occurred in its application within the Arab critical arena, starting from its initial stages where the psychological analysis approach was used to explore the author's psychological complexities. In this context, the works of the critic George Tarabishi stand out, covering the first phase of integrating psychological analysis concepts. Subsequently, scholars opened up to employing the textual psychological method, which drew from discourse analysis techniques to shed light on the literary creativity from a structural perspective, emphasizing the artistic and aesthetic values present in literary texts. In this context, the studies of critic

Hassan Elmouden introduced innovative workshops in the field of literary studies by leveraging the 'unconscious of the text' concepts pioneered by Jean Bellemin-Noël. Moreover, the approach to critical texts revealed the mythological inclination in Arabic novels, as seen in the works of critics Nidal Assalih and Sanaa Shalan. The researcher concluded the thesis with a general framework that encapsulates the ongoing debate among scholars about the adequacy of various methodologies in studying and analyzing texts. The conclusion defended the idea of the method's openness to address the gaps inherent in any single approach, not for the sake of methodological integration, but to bridge between methodologies and achieve the desired methodological sufficiency.

Keywords: Psychological Perspective, Novel Criticism, Modern Arabic Novel Criticism

مدخل:

نوقشت برحاب كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة القاضي عياض- مراكش- المغرب يومه السبت 14 فبراير 2015 أطروحة جامعية لنيل الدكتوراه في الآداب تقدم بها الطالب الباحث مولاي المصطفى الفدادي، بعنوان: المنظور النفسي في النقد الروائي العربي الحديث، من قِبَل لجنة علمية تتكون من السادة الأساتذة: د.عبد العزيز جسوس مشرفا ومقررًا، ود.عبد الجليل الأزدي رئيسا، ود.عبد النبي ذاكر عضوا، ود.مصطفى السعليتي عضوا؛ وبعد المناقشة التي دامت أربع ساعات، قررت اللجنة العلمية منح الطالب الباحث شهادة الدكتوراه في الآداب بميزة مشرف جدا.

المقدمة:

شهد الأدب تحولا جذريا في التعبير عن قضايا الإنسان الشعورية أو اللاشعورية[1]، من خلال تجاوز تلك المضامين المرتبطة بالإكراهات الإيديولوجية والخطابات الآمرة، وأصبح يعبر عن كينونة

[1]- **اللاشعور أو اللاوعي:**« فكرة اللاوعي تقوم على مقولة أن المرء يبني واقعه في علاقة أساسية مع رغباته المكبوتة ومخاوفه. ولهذا فإن كل تعبير (سلوكا أو لغة أو خيالا) هو مجموعة علاقات معقدة تتوسط وتتدخل في كل ما يعتقد المرء أنه يفعله أو يقوله أو يحلم به. واللاوعي يضرب بجذوره في البنى العاطفية والعلاقات التي تحكم فعاليات السلوك

الذات وما يعتريها من تناقضات وتشظيات عميقة، وهذا التحول في المضامين استدعى البحث عن آليات جديدة قادرة على حمل المعنى بطريقة إيحائية قائمة على الانزياح والرمز والأسطورة، وهذا ما تكشف عنه الرواية التي تمكنت من استلهام بعض التقنيات المرتبطة بأنواع أدبية أخرى مثل الشعر والمسرحية. وفي سياق هذا التحول شهد النقد المواكب للأدب طفرة نوعية مكنته من الانتقال من الأحكام الانطباعية والمعيارية إلى نشدان الموضوعية والعلمية، وقد تأتى له ذلك بالاستناد إلى المناهج الحديثة التي استعارت مفاهيمها وآليات اشتغالها من العلوم الإنسانية أو من حقل اللسانيات الحديثة.

إن الاختلاف القائم بين مناهج الدراسات الأدبية راجع إلى اختلاف المنطلقات الإبستيمية المؤطرة لكل منهج، والتي أسهمت بدورها في خلق صراع بين الدارسين لتحديد كفاية المنهج وبيان آليات اشتغاله في تحقيق نتائج علمية، وفي هذا السياق الفكري والثقافي ارتأى العديد من الباحثين الدفاع عن المنهج الذي تم اختياره لبيان كفايته الإجرائية وقدرته على دراسة النص الأدبي دراسة متكاملة، لكن حقيقة الواقع تكشف محدودية تلك المناهج، مما حفز مجموعة من النقاد في العقود الأخيرة من القرن العشرين إلى الدعوة إلى أطروحة الانفتاح وخلق جسور التواصل بين مختلف المناهج.

ويمثل المنهج النفسي أحد تلك المناهج التي وضعت بصمة قوية في المشهد النقدي، لأنه تمكن من إعادة التفكير في الذات بغية تجاوز جملة من المشاكل التي تحول دون تقديم رؤية متماسكة ومنسجمة بخصوص المنجز النصي، إما بالتأسيس لمفاهيم جديدة أو عن طريق الانفتاح على باقي المناهج الأخرى سياقية كانت أو نسقية[1].

والخطاب: أي طرق تحويل وترجمة الرغبة والحدث والتجربة إلى ذاكرة وإلى فعل لغوي. ولعل السمة التي لا يتجاوزها التحليل النفسي هي أنه يتبع كافة خيوط العمل الأدبي إلى وعي ولا وعي الذات: ظروفها النفسية وسيرتها الذاتية وتاريخ نموها. ويصبح العمل تعبيرا عن رغبة ما ومحاولة إشباعها سواء كانت الرغبة ناتجة عن علاقة المرء بذاته أو البيئة أو العالم حوله». دليل الناقد الأدبي، د. ميجان الرويلي– د. سعد البازعي، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– المغرب، 2002، ص 333.

[1] – **الدراسة السياقية:** هي جملة من الدراسات التي تقارب النصوص الإبداعية انطلاقا من السياق الخارجي، أي بربطه بظروف الكاتب الاجتماعية والبيئة التي ينتمي إليها، مع بحث قضية التأثير والتأثر كما ينهج ذلك دعاة المنهج الاجتماعي، أو عن طريق ربط النص الأدبي بعقد الكاتب النفسية ومكبوتاته النفسية وكيف أثرت في مسار شخصيته، وأن الشخصية القائمة في النص ما هي إلا تمثيل لحياة الكاتب النفسي، دون أن يتمكن أنصار هذا الاتجاه من الفصل بين شخصية الكاتب الواقعية والشخصية المتخيلة في النص، لكن التحولات الأخيرة التي شهدها المنهج النفسي جعلته ينأى بنفسه عن تصورات فرويد ويؤسس مفاهيم جديدة جعلته يفصل بين الشخصية الواقعية والشخصية المتخيلة، خصوصا لما انفتح النقاد النفسانيون على مناهج تحليل الخطاب.

وفي سياق التحول الذي شهدته المقاربة النفسانية ارتأى الباحث أن يقدم أطروحة جامعية حول موضوع "**المنظور النفسي في النقد الروائي العربي الحديث**"، لبحث الآليات المتحكمة في تطبيق المنهج النفسي وطرق اشتغاله بالنصوص الروائية.

وقد تحكمت في إنجاز البحث جملة من العوامل، يمكن اختزالها في العامل الذاتي والعامل الموضوعي؛ يبرز العامل الذاتي الرغبة الملحة في تعميق المعرفة بخصوص المناهج النقدية قديمها وحديثها، ومعرفة التحولات التي شهدتها في ظل ظهور مفاهيم وتصورات جديدة، وقد أملى ذلك على الباحث ما تعرفه في ماستر "النقد الأدبي العربي بين التأصيل والتحديث" بإشراف الدكتور عبد العزيز جسوس، والذي مكنه من اقتناص جملة من الأفكار لتشييد بحث أكاديمي في المستوى المطلوب. ويشكل العامل الموضوعي عنصرًا رئيسا لمواصلة البحث في "المنظور النفسي في النقد الروائي العربي الحديث"، وذلك راجع إلى الرغبة الملحة في إغناء المشهد النقدي العربي عن طريق طرح جملة من التساؤلات ذات الطابع الإشكالي، ومحاولة معالجتها بطريقة موضوعية.

وحتى يحقق البحث تماسكه وانسجامه، تم وضع مقدمة رئيسة تكشف عن الطريقة المنهجية المتبعة في إنجاز البحث، من خلال تحديد الأطروحة التي تستند إلى " **إشكالية انفتاح المنهج النفسي**"، والأسئلة التي تدور في فلكها بغية تشييد جملة من التصورات العلمية التي تبرز مدى ملاءمة المنهج النفسي وقدرته على إضاءة النص الروائي، وقد تم الانطلاق من فروض نظرية بغية التحقق منها عن طريق دراسة المتون النقدية، ولبيان الكيفية التي انتقل فيها المشهد النقدي من الانغلاق إلى الانفتاح.

ولتشييد معمار البحث تم الرجوع إلى الدراسات السابقة التي تندرج ضمن نقد النقد الأدبي، بقراءتها والاستفادة من نتائجها العلمية، وتبعا لذلك، تبين أنها قليلة جدا بالمقارنة مع حجم الإنتاج الأدبي من جهة، وبالمقارنة مع حجم الممارسات النقدية التي وظفت مناهج أخرى من جهة ثانية، ويمكن إرجاع ذلك إلى الارتباك الذي عرفه المشهد النقدي أثناء استعارة المنهج النفسي ومحاولة تطبيقه على الإنتاج الأدبي العربي، خصوصا أنه يتناول بالدرس والتحليل شخصية الشاعر أو الكاتب وما يعتريها من عقد نفسية ومكبوتات، وهذا التخوف راجع إلى كون الدراسات الأولى التي طبقت التحليل النفسي ركزت بالأساس، على شخصية الشاعر وأهملت النص الأدبي، لكن ذلك سيتحول مع

– **الدراسة النسقية:** هي دراسة تعنى بالكشف عن أدبية الأدب من خلال مقوماته الفنية والجمالية بعيدا عن تصورات المناهج التقليدية التي تقحم السياق الخارجي في فهم النص وتأويله، لذا، فالمناهج النسقية تقدم دراسة علمية منضبطة للنص الأدبي، ويتحقق هذا المنهج بتحليل مستويات البنية الداخلية من قبيل المستوى الصوتي والمستوى التركيبي والمستوى المعجمي والمستوى الصرفي والمستوى الدلالي والمستوى الرمزي.

تطور المنهج إلى إلغاء الشاعر أو الكاتب والاهتمام بالدراسة المحايثة[1]. وقد تبين أن الدراسات السابقة ركزت في غالبيتها، على ما قدمه الناقد السوري جورج طرابيشي، وذلك بحكم المدة الزمنية التي أطرت تلك الدراسات، فضلا عن كونها اقتصرت على قراءة بعض الدراسات النقدية تبعا للأطروحة التي يريد الباحث معالجتها.

لقد عرف النقد العربي تحولات وتغيرات عدة، نتيجة انفتاحه على الثقافة الغربية، وترجمة جملة من المؤلفات في هذا المجال، أفادت الناقد في تحليل النصوص وتأويلها والاقتراب من فك شفراتها ورموزها، وبلورة ذلك وفق تصورات منهجية وإجرائية، لكن ما يلاحظ ضعف الدراسات وقلتها في العالم العربي، خصوصا تلك التي طبقت منهج التحليل النفسي[2] على الرواية، باستثناء ما قدمه رائد هذا المجال الناقد جورج طرابيشي، من خلال دراساته النقدية التطبيقية المتنوعة والمتعددة، مع وجود بعض الاستثناءات الأخرى التي يمكن التمثيل لها بالناقد المغربي د. حسن المودن الذي بنى مشروعه النقدي بتطبيق منهج التحليل النفسي النصي[3].

---

[1] – **الدراسة المحايثة:** من المفاهيم التي تداولتها البنيوية في بداية ستينيات القرن الماضي، ليصبح فيما بعد مفهوما استراتيجيا يستند إليه الدارس في تحليل النص، ويقصد بالتحليل المحايث مقاربة النص الأدبي في ذاته انطلاقا من كشف مقوماته الفنية والجمالية التي تجعل منه نصا أدبيا بعيدا عن السياقات الخارجية المرتبطة بظروف الكاتب الاجتماعية والسياسية وسيرته الذاتية، لذا، يتم تحليل النص من الداخل بالبحث عن قوانينه وطبيعة العلاقات القائمة بين مكوناته ومستوياته، وأن المعنى ينتجه نص مستقل بذاته دون تبعيته لما هو خارج دائرة بنيته من كاتب ومحيطه.

[2] – **التحليل النفسي:**« التحليل النفسي في النقد والأدب برز فعليا مع سيغموند فرويد الذي يرى أن العمل الأدبي موقع أثري له طبقات متراكمة من الدلالة ولا بد بالتالي من كشف غوامضه وأسراره. ولئن كان للتحليل الفرويدي أنصاره في النقد الحديث فهذا لا يعني أن التحليل النفسي الفرويدي نفسه لم يتغير ويعيد النظر في مصطلحاته وأطروحاته. بل إنه تعرض كغيره إلى ضغوط التوجهات الجديدة، وتأثر بفرضيات إنتاج النص واستقباله وتغير مفاهيم اللغة وأهميتها وأساليب تقديم الشخصية وعرضها، وما إلى ذلك. لكن بقيت الأرضية الفرويدية (اللاوعي) قائمة كمركز الاهتمام». دليل الناقد الأدبي، ص 333.

[3] – استفاد **التحليل النفسي النصي** من «إعادة البناء اللاكانية ومدّ يده للنموذج اللساني في محاولة التوافق مع جهاز مفاهيمي يدمج الرغبة في هذا النموذج بعد أن طالها التجاهل والرفض من لدن الشكلانية، أو بالأحرى لم تدرجها في برنامج عملها الهادف إلى تأسيس علم الأدب. فهل يشكل هذا المنهج طريقا سالكة في وجه مقاربة متعددة الأبعاد للنصوص الأدبية التي يصير فيها اشتغال الكتابة أثرا حرفيا لاشتغال اللاشعور؟ وهل في هذا الأفق تحديدا ما يكفل إغناء نفسانيات الأدب وتعميقها وإخصابها؟ أليس رتق النظرية اللاكانية والنظرية الصوسيرية عودة إلى التكامل المنهجي الذي سبق التنبيه على التباسه وأشكال قصوره؟ وإذا كان تطور نفسانيات الأدب في الحقل الأوروبي قد أملى هذه الصيغة المنهجية التي تتصالح فيها الأنساق السردية الكبرى: الماركسية والتحليل النفسي والبنيوية، فهل في تطور الحقل النقدي العربي ما يفرض هذه الصيغة؟ أم أن الأمر لا يعدو أن يكون تعبيرا عن مسايرة ذوق العصر وركوب آخر التقليعات النظرية والمنهجية؟». التحليل النفسي والأدب، في النظرية والممارسة، د.عبد الجليل الأزدي، ط1، المطبعة والوراقة الوطنية– مراكش، يناير 2005، صص 171– 172.

وقد اعتمد الباحث طريقة منهجية محددة قائمة على آليات الوصف والتحليل والمقارنة، وحتى يكون الباحث موضوعيا في أحكامه ونتائجه، ركز على القراءة الداخلية للمتون النقدية، لمحاولة كشف آليات تطبيق المنهج النفسي، وكيفية تحوله، ومدى ملاءمته لإضاءة النص الأدبي.

هيكلة البحث:

تم تقسيم البحث إلى قسمين:

- القسم الأول: دراسات الرواية من منظور التحليل النفسي
- القسم الثاني: دراسات الرواية من منظور التحليل النصي

يتشكل **القسم الأول** من ستة فصول، كل فصل يتناول بالدراسة والتحليل مؤلفا نقديا لجورج طرابيشي، وتم اعتماد هذا الخيار المنهجي من بداية البحث إلى نهايته، لأنه القادر على بلورة جملة من التصورات حول آليات اشتغال المنهج النفسي في كل دراسة على حدة، ورصد التحولات والتغيرات التي طرأت عليه، خصوصا أن الناقد لم يكن صريحا مع المتلقي في اختياراته المنهجية، وإنما تركه يخوض غمار البحث والتنقيب عن ذلك انطلاقا من المتون النقدية، مع العلم أن الناقد، في البداية، لم يتمكن من تحديد المنهج الملائم للدراسة الأدبية، وظل متراوحا بين التحليل النفسي والنقد الاجتماعي الماركسي، إلا أنه في دراسته الأخيرة بدأت معالم التحديد المنهجي جلية، حيث سيتبنى التحليل النفسي باعتباره منهجا قادرا على دراسة المنجز الروائي.

الفصل الأول: "**إشكالية الصراع بين الشرق والغرب**"، لم يحدد الناقد المنهج المعتمد في الدراسة وإنما دلف مباشرة إلى التحليل والتأويل، راصدا العلاقة السجالية القائمة بين الشرق والغربي، باعتبارها قائمة على ثنائية الرجولة والأنوثة، وانطلاقا من الدراسة الداخلية للمتن النقدي تبين أن الناقد اعتمد آليات منهجية تستند إلى التحليل النفسي والتفسير الاجتماعي، وقد اختار الناقد جملة من الأعمال الروائية التي يراها حاملة لذلك الصراع بين الشرق والغرب، وهذا يوضح أنه ركز على مضمون الأعمال الأدبية دون أن يتجاوزها إلى الدراسة المحايثة التي تعتمد مناهج تحليل الخطاب.[1]

الفصل الثاني: "**الرؤيا الإيديولوجية والتعدد المنهجي**"، في هذا الفصل تم التوقف عند تصور جورج طرابيشي للمنهج النقدي، وآليات اشتغاله، مبرزا أن الناقد بإمكانه أن يستفيد من جميع المناهج النقدية السياقية أو المحايثة لمقاربة المنجز الروائي، لكن الدراسة الداخلية للمنجز الروائي اقتصر فيها الناقد على منهجين رئيسين في التحليل هما "التحليل النفسي" و"التحليل الاجتماعي"، وتظل باقي

[1] – المنظور النفسي في النقد الروائي العربي الحديث، مولاي المصطفى الفدادي، أطروحة دكتوراه في الآدب، نوقشت بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، القاضي عياض– مراكش، المغرب، 2015، صص 50– 64.

المناهج تطل باستحياء. أما المنجز الروائي فقد ربطه بالأعمال التي تنبني على تصور المجتمع الأبوي المتخلف للمرأة.[1]

الفصل الثالث: "**الإخراج الجمالي والإيديولوجي لعقدة أوديب**"، استندت الدراسة التي أنجزها جورج طرابيشي إلى تقديم نظري عرف فيه بمنهج التحليل النفسي الذي اختاره آلية لتحليل المنجز الروائي، مبرزا أنه يجسد نقطة انطلاق الدراسة ولا يمثل نقطة الوصول، لأن كل المناهج الأخرى قادرة على دراسة النص الأدبي في حالة مداورتها على الوجه الأكمل، وقدرة الناقد على تطبيقها تطبيقا جيدا يراعي خصوصياتها النظرية والمعرفية، لكن اختياره التحليل النفسي منهجا لم يمنعه من الانفتاح على "المادة الإيديولوجية" للكاتب التي بإمكانها أن تقدم زادا معرفيا يساعده على التحليل، وفق رؤية تخلق جدل السيكولوجيا والسوسيولوجيا.[2]

الفصل الرابع: "**صورة الشخصية الذكورية في الرواية**"، قد خصص هذا الفصل للوقوف عند التصور المنهجي للناقد، لإبراز أنه اعتمد التحليل النفسي منهجا، دون الاقتصار على رؤيته الأحادية، وإنما ربطها بالتصور الإيديولوجي للشخصيات، لأن العقد النفسية حتى وإن كانت واحدة فإن أشكال تجليها لا متناهية. ومنافحا في الوقت ذاته عن منهج التحليل النفسي ضد الذين يتهمونه بالاختزال والتعسف، لأن كل المناهج السياقية والمحايثة خاضعة للنقد ذاته بدون استثناء.[3]

الفصل الخامس: ركزت دراسة الناقد على "**صراع الأنثى ضد أنوثتها وهاجس الكتابة**"، متناولا جملة من الأعمال الروائية للأديبة نوال السعداوي، مبرزا أن التحليل النفسي هو الأجدر لدراسة ثنائية الرجولة/ الأنوثة، نافيا ذلك عن باقي المناهج الأخرى، وقد جسدت دراسة الناقد الصراع النفسي الذي تعيشه بطلات نوال السعداوي، حيث انتقل على مستوى التحليل، بين الشخصية المتخيلة والشخصية الواقعية، لكي يبرز التصور الإيديولوجي للكاتبة، وبالرغم من انفتاح الناقد على منهج التحليل النفسي الاجتماعي إلا أنه ظل رهين المفاهيم الفرويدية. ولم يقتصر الناقد على تحليل المنجز الأدبي الروائي، بل تجاوزه إلى دراسة المؤلفات النظرية التي انتقدت تصورات فرويد عن "الأنوثة".[4]

الفصل السادس: "**الكتابة الروائية بين الشعور واللاشعور**" تبنى الناقد في الدراسة الأخيرة التحليل النفسي منهجا لدراسة جملة من الأعمال الروائية لحنا مينة ومبارك ربيع، وقد تناول جملة من القضايا المرتبطة بالرجولة والأنوثة، إضافة إلى قضايا أخرى مرتبطة بطريقة تأليف العمل الأدبي استنادا إلى ثنائية الشعور واللاشعور. وإذا كان الناقد في دراساته السابقة يربط بطريقة مباشرة بين

[1] – نفسه، صص 65– 81.
[2] – نفسه، صص 82– 109.
[3] – نفسه، صص 110– 132.
[4] – نفسه، صص 132– 152.

سيرة الكاتب وعمله الأدبي باعتباره تعبيرا عن حياته الواقعية، فإن الدراسة الأخيرة تبرز أنه لا يزال يرزح تحت ذلك التصور ويتضح ذلك من خلال استفادته في القسم الأول، من السيرة الذاتية لتحليل الرواية، لكنه في القسم الثاني تجاوز ذلك إلى دراسة الرواية باستقلال عن حياة الكاتب وعقده النفسية، فضلا عن استفادته من آليات اللاشعور الجمعي[1] المستند إلى تصور كارل يونغ.[2]

وإذا كان القسم الأول من البحث ركز على المشروع النقدي لجورج طرابيشي، وبين الكيفية التي تحول بها منهجه، انطلاقا من التذبذب في اختيار التحليل النفسي منهجا، إلى التبني الكلي في نهاية مشواره النقدي، مرورا بالتبني الجزئي، وكان في ذلك حريصا على المزاوجة بين منهجي التحليل النفسي والاجتماعي الماركسي، فإن المشهد النقدي العربي سيعرف تحولا جذريا في تعامله مع المنهج النفسي خصوصا مع التأسيس لمنهج التحليل النصي الذي يعنى بالدراسة المحايثة للنص الأدبي. وقد تم الاقتصار على دراسات رجاء نعمة وحسن المودن ونضال الصالح وسناء شعلان.

الفصل الأول: "**النص الروائي وإشكالية التركيب المنهجي**"، تم تناول العمل النقدي للناقدة رجاء نعمة التي تمكنت من نقل مجال الدراسة النفسية من تحليل شخصية المؤلف إلى تحليل الشخصية المتخيلة للعمل الأدبي، وقد استفادت في ذلك من جملة من المناهج النقدية التي تعنى بالدراسة الداخلية لتحليل الخطاب، مثل لا شعور النص[3] لجان بيلمان- نويل، ومنهج شارل مورون، خصوصا ما له علاقة بدراسة الاستعارات الملحاحة التي تتكرر في العمل الأدبي بطريقة لاشعورية،

---

[1] – **اللاشعور الجمعي:** يمثل اللاشعور الجمعي «خبرات الماضي وتجارب الأسلاف، وهو منطلق "يونغ" في تحليل عملية الإبداع بصورة عامة؛ فهذه العملية تتم في تصوره باستثارة النماذج الرئيسة المتراكمة في اللاشعور الجمعي بواسطة "الليبيدو" المنسحب من العالم الخارجي، والمرتد إلى داخل الذات، وبواسطة الأزمات الخارجية أو الاجتماعية. وهذا ما يسبب اضطرابا نفسيا لدى الفنان، فيحاول إيجاد اتزان جديد لنفسه». المدخل إلى نظرية النقد النفسي، سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد "نموذجا"، زين الدين المختاري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998، ص 15.

[2] – المنظور النفسي في النقد الروائي العربي الحديث، مولاي المصطفى الفدادي، صص 153- 192.

[3] – **لا شعور النص:** ويعد جان بيلمان- نويل من أهم الدارسين الذين حوّلوا مجال التحليل النفسي الفرويدي القائم على دراسة لا "شعور المؤلف" إلى التحليل النصي القائم على "لا شعور النص"، حيث اعتبر أن النص الأدبي هو مركز الدراسة وبؤرتها، بتغيير مسار المنظور النفسي من السياق الخارجي إلى السياق الداخلي، فالمؤلف وإن كان قد أنتج عمله الأدبي، إلا أنه منفصل عنه في الوقت ذاته، وشبه جان بيلمان نويل دارس شخصية المؤلف بالطبيب الذي يفحص أمّ المريض، أما المريض فيتركه جانبا. ويتجسد "لا شعور النص" في الفراغات التي يتوافر عليها المنجز النصي، والتي بإمكانها الصراخ في صمت، وهي في ذلك شبيهة بصراخ الغرائز الناتجة عن أعماق اللاشعور. إن «"لا شعور" النص يشمل كل القيم الدلالية التي يخفيها النص، ولهذه القيم قابلية للظهور عند كل قراءة متجددة». خطاب ما بعد البنيوية في النقد المغربي الحديث (في التنظير والممارسة)، د.محمد مريني، مقال ضمن مجلة عالم الفكر، العدد 4، المجلد 35، أبريل- يونيو، 2007، ص 140.

عن طريق تنضيد النصوص وتراكبها، ولم تعتمد ذلك من أجل دراسة الأسطورة الشخصية[1] للكاتب، فضلا عن مناهج تحليل الخطاب السردي، وما قدمه فيليب هامون عن تحليل الشخصية.[2]

الفصل الثاني: "**دراسة الرواية من منظور لا شعور النص**"، يمثل هذا الفصل محورا رئيسا للتعرف على المشروع النقدي الذي أسسه الناقد المغربي حسن المودن، والذي تبنى فيه منهج التحليل النفسي النصي لجان بيلمان– نويل، معتبرًا النص الروائي بؤرة التحليل، ومحولا الدراسة النفسانية من السياق الخارجي المرتبط بالمؤلّف إلى السياق الداخلي المرتبط بدراسة "لاشعور النص"، معتمدًا في ذلك الدراسة المحايثة المستندة إلى لسانيات الخطاب ونظرية التلفظ والسيميائيات، فضلا عن انفتاحه على المبدأ الحواري لميخائيل باختين، وذلك راجع إلى أن الأدب بحد ذاته عرف تحولا مضمونا وشكلا، ومتجاوزًا في الوقت ذاته الخطابات الإيديولوجية السائدة إلى الحديث عن الكينونة الذاتية.[3]

الفصل الثالث: "**نقد الرواية من منظور التحليل النصي**"، يشكل هذا الفصل نقطة إضافية إلى الفصل السابق في التعريف بالمشروع النقدي لحسن المودن، والذي واصل فيه تطبيق منهج التحليل النفسي النصي على الأعمال الروائية، من خلال الكشف عن "**لا شعور النص**"، ومنفتحا في الوقت ذاته على مناهج تحليل الخطاب، فضلا عن تقسيم الدراسة إلى قسمين: الأول تناول فيه النص الروائي بالانفتاح على "المقاربة الموضوعاتية"، والثاني بالانفتاح على "المنهج الأسلوبي"، كاشفا عن نسقية النص الروائي، من خلال الدراسة المحايثة. فضلا عن طرحه لإشكال جديد مرتبط بتطبيق الأدب على التحليل النفسي.[4]

الفصل الرابع: "**توظيف المنهج الأسطوري في دراسة الرواية**"، يشكل هذا الفصل قضية منهجية مرتبطة بالدراسة النقدية لـ"نضال الصالح" الذي اعتمد المنهج الأسطوري[5] في دراسة الرواية

---

[1] – **الأسطورة الشخصية**: نطلق عبارة الأسطورة الذاتية على التخييل الذي يتكرر أكثر من غيره في أعمال الكاتب، أو تلك التخييلات التي تقاوم باستمرارية ظهورها عملية مطابقة النصوص». صراع المقهور مع السلطة: دراسة في التحليل النفسي لرواية الطيب صالح موسم الهجرة إلى الشمال، رجاء نعمة، بيروت، 1986، ص 27.

[2] – المنظور النفسي في النقد الروائي العربي الحديث، مولاي المصطفى الفدادي، صص 205– 236.

[3] – نفسه، صص 237– 265.

[4] – نفسه، صص 266– 301.

[5] – **المنهج الأسطوري**: تؤكد الناقدة سناء شعلان أن سبعينيات القرن الماضي تعد المهاد الأول للدراسات النقدية العربية التي استثمرت آليات المنهج الأسطوري، ويعد هذا الاستثمار خطوة جريئة نحو الفهم العميق للنص الأدبي قصد الوصول إلى نتائج علمية وموضوعية، ويستند المنهج الأسطوري في دراسة الأدب إلى أطروحة مركزية قائمة على «الأوليات أو الأنماط الأولى أو النموذج البدئي، التي صاغت مرجعيتها الأساس من العمود الفقري لمفهوم الذاكرة الجمعية أو اللاوعي الجمعي التي أطلقها يونغ في التحليل النفسي، التي تتلخص في أن هناك أنماطا أولية ما

العربية، والذي يعتبر أول ناقد عربي خصص دراسة متكاملة عكس الدراسات السابقة التي جاءت مختصرة في شكل مقالات، ولم تقدم تصورا متكاملا في توظيفها النقد الأسطوري لمقاربة الأعمال الروائية، هذا إذا استثنينا الدراسات التي أنجزت حول النص الشعري. وقد انفتح الناقد على مناهج تحليل الخطاب السردي، فضلا عن البنيوية التكوينية، إضافة إلى التمييز فيها بين دراسة السياق الاجتماعي والثقافي والسياسي الذي كان عاملا وراء النزوع الأسطوري، وبين الدراسة المحايثة التي ركز فيها على دراسة المنجز النصي من الداخل.[1]

الفصل الخامس: "**النقد الأسطوري والتحليل النصي**"، تم تخصيص الفصل الأخير من البحث لدراسة العمل النقدي لـ"سناء شعلان"، وذلك لإبراز طريقتها المنهجية في تحليل المنجز النصي الروائي للكاتب نجيب محفوظ، من خلال توظيف المنهج الأسطوري المنفتح على تقنيات السرد الحديث، لتقديم دراسة محايثة لمكونات الخطاب، وقد درست الأنماط الأسطورية[2] في الرواية، معتمدة مفاهيم المنهج الأسطوري ومتجاوزة لبعضها الآخر. وقد اتبعت طريقة منهجية في دراسة التوظيف الأسطوري في روايات نجيب محفوظ، من خلال تتبع الأسطورة في العمل الأدبي سواء وردت بطريقة مباشرة أم مضمرة، كلية أم جزئية، مع بيان أن هذا التوظيف ليس مستقلا عن العمل الأدبي، بل مندغما في تشييد معماره الفني.[3]

تزال تمارس تأثيرها منذ فجر التاريخ إلى اليوم». الأسطورة في روايات نجيب محفوظ، د. سناء شعلان، ط1، نادي الجسر الثقافي والاجتماعي، الشركة الحديثة للطباعة، الدوحة– قطر، 2006، ص 28.

[1] – المنظور النفسي في النقد الروائي العربي الحديث، مولاي المصطفى الفدادي، صص 302– 347.

[2] – **النمط الأسطوري أو النموذج الأعلى** هو« نمط من السلوك أو الفعل، أو نوع من الشخصيات، أو شكل من أشكال القص، أو صورة، أو رمز، في الأدب والأساطير وكذلك في الأحلام، ويعكس أنماطا أو أشكالا بدائية وعالمية تجد استجابة لدى القارئ. ومن أمثلة ذلك أساطير الموت والبعث في بعض الثقافات القديمة، كأسطورة تموز لدى البابليين وأدونيس لدى اليونان القدماء، التي تنعكس في الأعمال الأدبية في هيئات مختلفة، مثل أن يشير الكاتب إلى الوطن الذي يستعيد أمجاده رغم الكوارث أو البطل الذي ينتصر بعد الهزيمة. ففي هذه كلها نجد تواترا لأنموذج الخلود الذي منحته الأساطير البدائية هيئات متعددة وما زال يتكرر في الكثير من الثقافات المعاصرة بهيئات مشابهة أو مختلفة». دليل الناقد الأدبي، ص 337– 338.

[3] – المنظور النفسي في النقد الروائي العربي الحديث، مولاي المصطفى الفدادي، صص 348– 383.

نتائج البحث:

تبعا لما سبق، توصلنا إلى نتائج يمكن إجمالها في الآتي:

نتائج القسم الأول: دراسات الرواية من منظور التحليل النفسي

- لم يتمكن جورج طرابيشي من الفصل بين الشخصية المتخيلة وشخصية الكاتب، وظل في العديد من السياقات يبحث عن عقدها النفسية، لأنه استفاد في ذلك من دراسة السيرة الذاتية والقصة والمسرحية بشكل يخدم تصوره الإيديولوجي.
- الإيمان بأهمية التعدد المنهجي في مقاربة النص الروائي، لكنه التعدد الذي يخدم الرؤيا الإيديولوجية للكاتب.
- الاستفادة من الجهاز المفهومي لفرويد وتجاوزه في البعض الآخر، مع بيان أن العلاقة التي تربط بين الأب والابن ليست علاقة محرمية وإنما علاقة سلطة مستنداً في ذلك إلى عالم النفس الاجتماعي إيريك فروم. ولم يعد الفنان عصبيا أو مريضا نفسانيا، وتحدث الناقد عن قيمة العمل الأدبي باعتباره فنا جماليا وأسلوبيا تتدخل فيه الذات الواعية بكل إرادتها.
- بيان الناقد في بعض الدراسات أن التحليل النفسي يمثل نقطة انطلاق وليست نقطة وصول، فإذا كانت المادة النفسية سببا فإن المادة الاجتماعية تكون نتيجة، لأن العقد النفسية وإن كانت واحدة فإن أشكال تجليها لا متناهية.
- هيمنة تحليل المضمون في الدراسة وإغفال ما يمكن أن تقدمه المناهج المحايثة في دراسة البنية الداخلية للمنجز الروائي باستثناء بعض الشذرات التي تأتي بين سياق وآخر.
- لم يعتبر التحليل النفسي مذهبا، بل منهجا يستند إلى مفاهيم عقلية ومنطقية يمكن حراكها وتغييرها بالطريقة التي يعيد فيها النقد التفكير في الذات باستمرار. هذا ما جعل الناقد ينفتح على مجموعة من المناهج ليس بدعوى التكامل وإنما لترميم النقص الحاصل في منهج الدراسة.

نتائج القسم الثاني: دراسات الرواية من منظور التحليل النصي

- تجاوز النقاد ما قدمه جورج طرابيشي في تحليل الرواية، وعملوا على تخليص النقد الأدبي من القيود التي كانت تحول النص إلى ذات مطابقة لذات الكاتب، وتتخذ منه وسيلة لتحليل ومعرفة لا شعوره وعقده النفسية، وهي مطابقة لا تخلو من تعسف لأنها تلغي خصوصية النص الأدبي، فضلا عن أنها تهمش الجوانب الشكلية والجمالية وتجعل من النص مجالا لاختبار فرضيات فرويد ونظرياته.

- تمكن الدراسون من توظيف النقد النفسي في صيغه المتطورة خصوصا التحليل النفسي النصي الذي يكشف عن لا شعور النص بدل لا شعور الكاتب، حيث أصبح النص الأدبي بؤرة التحليل، وقد تحقق ذلك بفضل استثمار النظريات البنيوية وما بعد البنيوية، فضلا عن استثمار المقاربات التي أعادت قراءة فرويد من خلال الكشف عن العلاقة الكامنة بين النفسي والسردي وبين اللاشعور والكتابة.

- توظيف المنهج الأسطوري في دراسة الرواية بالانفتاح على مناهج تحليل الخطاب، بالطريقة التي مكنت الدارسين الاقتراب من الأسس الجمالية في تشييد المنجز النصي، فضلا عن دراسة المضمون، إلا أن الدراسات الأسطورية ركزت في البداية على السياق الخارجي ثم انتقلت إلى الدراسة المحايثة، وكان بالإمكان البحث عن تلك القضايا الاجتماعية والسياسية والثقافية داخل النص الروائي.

إن دراسة المتون النقدية كشفت بطريقة جلية أن كل النقاد اعتمدوا أطروحة الانفتاح المنهجي، سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وقد قسم الباحث تلك الدراسات إلى قسمين؛ دراسات تناولت المنجز الروائي انطلاقا من المناهج السياقية التي تعنى بالمضمون النفسي أو الاجتماعي كما ورد ذلك مع الناقد جورج طرابيشي، ودراسات تناولت الرواية من منظور التحليل النصي سواء التي استفادت من منهج جان بيلمان– نويل أو التي طبقت المنهج الأسطوري بالانفتاح على مناهج تحليل الخطاب، وتعد الدراسات الأخيرة الأقرب إلى دراسة الأدب والوصول إلى نتائج موضوعية وعلمية، لأنها زاوجت بين تحليل المضمون وتحليل الخطاب.

وتبعا للتصورات المنهجية والتطبيقية السابقة، تم تقديم تركيب عام للبحث، لتناول تلك الإشكالات النقدية بطريقة حجاجية، حيث تم تقديم تصورات دعاة "المنهج التكاملي"، وذلك بإبراز المفاهيم التي يستندون إليها ويرونها مؤسسة لمنهجهم، باعتبارها القادرة على دراسة النص الأدبي دراسة متكاملة ومن جميع الزوايا، وقد بين الباحث أن تلك التصورات تعد تصورات نظرية لا تجد لها سنداً موضوعيا على مستوى التطبيق، وقد تم استحضار الدراسات التي انتقدت التصور "التكاملي" في الخطاب النقدي العربي، لإبراز أن ذلك يعمق من أزمة النقد ولا يساعد على حلها؛ علما أن بعض دعاة المنهج التكاملي يستعملون مفاهيم غير متماسكة وغير منسجمة فيما بينها، مثل: النقد المتكامل– النقد التكاملي– التكامل المنهجي– الاتجاه التكاملي– المذهب التكاملي– العقيدة التكاملية.

وإذا كانت علمية النقد تستند إلى تحديد الموضوع والمنهج، ثم العمل على توظيف ذلك في دراسة العمل الأدبي، فإن دعاة "المنهج التكاملي" لم يتمكنوا من تطبيق تلك التصورات التي يدعون إليها، وظل تصورهم مثاليا ومتعاليا أثناء حديثهم عن كون ذلك المنهج بإمكانه أن يدرس النص من جميع الزوايا، وبإمكانه أيضا الوصول إلى المعنى المطلق للنص الأدبي، وهم بذلك لا يهدفون إلى

إضاءة النص بقدر ما يهدفون إلى موته، لأن النص كائن حي وزئبقي ولا يمكن إدراك دلالاته العميقة بطريقة متكاملة، وهذا راجع إلى أن المناهج دائما في تطور مستمر، وفي كل مرة يدرس الناقد النص يكتشف فيه دلالة جديدة، إذن، النص الأدبي مفتوح ومنفتح على جميع المقاربات النقدية.

وقد خلص الباحث، انطلاقا من السجال الذي عرفه المشهد النقدي العربي، إلى أن التصور الأحادي غير قادر على تقديم مقاربة متكاملة للنص الأدبي؛ وحتى لو وظف الناقد جميع المناهج المتاحة له قديما وحديث، فإنه لن يتمكن من استنفاد الدلالة النهائية، فضلا عن عدم قدرة ناقد واحد الإحاطة بكل المعارف والعلوم.

وقد تبنى الباحث تصورًا يراه ملائما وموضوعيا لخروج النقد الأدبي من أزمته يتمثل في "**انفتاح المنهج**"، ليس بدعوى "**التكامل المنهجي**"، وإنما بخلق جسور التواصل بين المناهج من خلال تبني الناقد منهجا يراه ملائما لدراسة النص الأدبي واستعارة بعض المفاهيم الأخرى التي تغني قراءته النقدية ولا تفقرها، مع التمثل الجيد للخلفية المعرفية المؤطرة لكل منهج على حدة، أو التأسيس لمنهج جديد يستفيد من الفروض النظرية السابقة، ويتجاوزها في الوقت ذاته.[1]

وفي الأخير، يمكن القول إن البحث لا يدعي القول الفصل في إشكالات المناهج النقدية عامة والمناهج النفسية خاصة، وإنما حاول أن يقدم جملة من الإجابات عن بعض التساؤلات التي يراها ملحة، وسيظل هذا العمل مفتوحا على مشاريع نقدية أخرى سيتم العمل عليها مستقبلا إن شاء الله.

الخاتمة:

تبعا للعرض السابق، يمكن القول إن أطروحة الباحث مولاي المصطفى الفدادي تعد إضافة نوعية في مجال نقد النقد الذي أراد من خلاله أن يعرف القارئ العربي على أهم الدراسات العربية التي اشتغلت بتحليل الرواية من منظور نفسي، فضلا عن كشف التحولات التي شهدتها الساحة النقدية العربية في تطبيق مناهج التحليل النفسي، وهذا التحول يعمق بجلاء أهمية استثمار الآليات الجديدة لإضاءة النصوص الأدبية عامة والرواية خاصة، وقد عمقت هذه الأطروحة النقاش الذي يعنى ببيان كفاية منهج التحليل النفسي وقيمته العلمية في فك شفرات النصوص الأدبية، فضلا عن ذلك أماط الباحث اللثام عن البدايات الأولى التي درست الرواية، وكانت هذه البداية مرتبطة أشد الارتباط بالتحليل النفسي الفرويدي الذي يركز بالأساس على تحليل العقد النفسية للكاتب أو المبدع، ويربط بطريقة آلية بين الشخصية المتخيلة في النص الروائي وبين الكاتب، ويدور هذا التحليل في فلك المضمون، ويستبعد من حسابه دراسة القيم الفنية والجمالية، هذا ما جعل العديد من الدارسين

[1] – المنظور النفسي في النقد الروائي العربي الحديث، مولاي المصطفى الفدادي، صص 384– 410.

يوجهون انتقادا قويا إلى دعاة منهج التحليل النفسي، وفي سياق ذلك انفتح الدارسون على مناهج تحليل الخطاب لسد الخلل الذي يعرفه منهج التحليل النفسي، وهذا ما تجلى مع جاك لاكان وجان بيلمان– نويل وغيرهما.

وقد توصل الباحث إلى قيمة أطروحة انفتاح المنهج لإغناء الحقل النقدي ولخلق التواصل بين مختلف المناهج لتجاوز الرؤية الأحادية القاصرة عن إدراك ما يحفل به النص من دلالات ورموز وقيم فنية وجمالية، وهذا يؤكد أن الدارسين تجاوزوا الصراع الذي احتدم بين المناهج في بداية التأسيس، ليعلنوا قصورها وعدم كفايتها في مقاربة الإبداع الأدبي مقاربة متكاملة، وتتجلى قيمة الانفتاح في جميع الدراسات التي اشتغلنا بها والتي توصلنا من خلالها إلى أن جميع النقاد اعتمدوا أطروحة الانفتاح بطريقة صريحة أو ضمنية، فمثلا جورج طرابيشي دعا النقاد إلى الاستفادة من جميع المناهج النقدية المتاحة، ولكن هو نفسه لم يستثمرها بطريقة تجعله يتجاوز تنظيرات سيغموند فرويد التي تجعل النص الأدبي وثيقة تكشف عن عقد الكاتب النفسية، لكن الدراسات اللاحقة تخلصت تدريجيا من تصورات مؤسس التحليل النفسي، وانفتحت على اللسانيات والسيميائيات ونظريات التلفظ، موقنة أن هذا الانفتاح فيه إغناء للنص وإثراء له.

وفي آخر هذا العرض المختصر عن أطروحة "المنظور النفسي في النقد الروائي العربي الحديث" للباحث مولاي المصطفى الفدادي، نبين أن حجم الدراسات التي استثمرت المناهج النفسية قليلة جدا، وتعد على رؤوس الأصابع، وهذا راجع، في اعتقادنا، إلى صعوبة تطبيق هذه المناهج نظرا لتعقدها وتشعب مفاهيمها، فضلا عن ارتباط البدايات بتحليل العقد النفسية والمكبوتات الجنسية لهذا الكاتب أو ذاك، بخلاف الدراسات الأخرى التي استثمرت المنهج الاجتماعي والمنهج البنيوي والسيميائيات والأسلوبية فهي متعددة ومتنوعة، لكن يمكن القول إن المنهج النفسي بدوره لم يظل حبيس التصورات الفرويدية، بل تطور واغتنى بانفتاحه على مناهج أخرى، وفي هذا السياق أدعو الباحثين العرب إلى الانفتاح على مناهج التحليل النفسي لما لها من أهمية في سبر أغوار النصوص الإبداعية وتفكيك رموزها وبيان دلالاتها، وأكيد أن هذا الانفتاح سيغني المكتبة العربية بجملة من الدراسات العلمية القيمة، والمطلع على هذه الأطروحة أكيد أنه سيستفيد من نتائجها وغنى مصادرها التي تذلل بعض الصعوبات التي تعترضه في مجال بحثه.